Journal Of the Iraqia University (74-1) August (13-8-2025)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/247

سيميائية النص ومدلولات الخطاب وفق نظرية غريماس واللسانيات التداولية قراءة في خطب نهج البلاغة

أ.م.د. حيدركرم الله قاسم

كلية الإمام الكاظم (ع) واسط

The Semiotics of Text and the Significations of Discourse in Light of Greimas' Theory and Pragmatics: A Reading of the Sermons in Nahj al-Balāgha

Asst. Prof. Dr. Haider Karamallah Qasim / Al-Imam Al-Kadhim College – Wasit
haider.karam@iku.edu.iq

الملخص :

مع تطور المناهج اللغوية المعاصرة، برزت الحاجة إلى تجاوز التحليل البلاغي أو السردي التقليدي، والبحث في إمكانات المناهج التكاملية، لاسيما تلك التي تجمع بين البُنية الدلالية الداخلية للنصوص والبُعد الاستعمالي التداولي، وهو ما توفره كل من نظرية غريماس السيميائية واللسانيات التداولية.يسعى هذا البحث إلى بناء مقاربة تكاملية تجمع بين النظريتين لتحليل نماذج من خطب نهج البلاغة، وذلك من خلال الكشف عن البُنى السردية والمعنى المتحوّل (كما تصوره غريماس)، وربط ذلك بسياق الملفوظية والمقاصد الخطابية والفعل الكلامي (على وفق التداولية) لذلك ، يُعدّ الربط بين نظرية غريماس السيميائية واللسانيات التداولية منهجًا مزدوجًا فعالًا في تحليل خطب نهج البلاغة، لما توفره هذه الخطب من مادة خطابية تجمع بين العمق الدلالي والبُعد الإقناعي. فمن خلال أدوات غريماس يُمكن تفكيك بنية المعنى وسيرورة التحول القيمي فنحصل على تحليل دلالي بنيوي عميق للبنية الرمزية للخطبة ، بينما تُمكّننا اللسانيات التداولية من كشف البعد الحواري، والمقصدية، وأثر الخطاب على المتلقي ونكشف في الوقت نفسه عن القوة الإقناعية والتأثيرية والتفاعلية للخطاب . ويُنتج هذا التكامل نموذجًا تحليليًا يُبرز الطابع الاستشرافي والنهضوي لخطاب الإمام علي (ع)، بوصفه خطابًا تواصليًا مُحمّلاً بالمعنى والتاريخ والموقف.**الكلمات المفتاحية : السيميائية ، نظرية غريماس ، اللسانيات التداولية ، نهج البلاغة**

Abstract

In light of the evolution of contemporary linguistic approaches, it has become increasingly necessary to move beyond traditional rhetorical or purely narrative analyses and to investigate the potential of integrative methodologies—particularly those that combine the internal semantic structures of texts with their pragmatic and communicative dimensions. Both Greimas' semiotic theory and linguistic pragmatics provide complementary frameworks that enable such a comprehensive investigation.The present study aims to establish an integrative approach that bridges these two theoretical perspectives in the analysis of selected sermons from *Nahj al-Balāgha*. The analysis seeks to uncover the underlying narrative structures and the dynamics of semantic transformation, as conceptualized by Greimas, while simultaneously situating these structures within the pragmatic context of utterance, communicative intention, and speech acts.Thus, the integration of Greimasian semiotics and pragmatics offers a dual methodological framework capable of addressing the particular discursive richness of *Nahj al-Balāgha*. These sermons are characterized by both profound semantic density and persuasive force. Through Greimas' model, one may deconstruct the architecture of meaning and the trajectories of value transformation, arriving at a structural-semantic reading of the text's symbolic framework. Pragmatics, on the other hand, makes it possible to reveal the dialogic dimension, intentionality, and communicative efficacy of the discourse, highlighting at once its persuasive, affective, and interactive capacities.

Such a methodological synthesis yields an analytical model that underscores the visionary and reformative dimensions of Imam ʿAlī's discourse, framing it as a communicative act imbued with meaning, historical depth, and ideological orientation.**Keywords: semiotics, Greimas' theory, pragmatics, Nahjul Balagha**

المقدمة

تُعرف السيميائية بأنها العلم الذي يبحث في انظمة العلامات بأنواعها اللغوية و الأيقونة والحركية التي ينتجها المجتمع ، فموضوعها " البحث في المعنى ، وهدفها ايضاً استكشاف المعنى ، إذ من غير الممكن اختزالها في وصف التواصل وحده ، لأنها إجراء أعم من التواصل بسبب صعوبة حصرية التواصل من جهة ، وصعوبة تحديد مفهومه من جهة ثانية " (عبد القادر شرشار : ٢٣)وقد أشارت الدراسات النقدية الى ثلاثة اتجاهات رئيسة في دراسة السيميائية (يُنظر : المصدر نفسه : ٢٣) الأول : ما ذهب إليه (رولان بارت) و (غريماس) و (كورتيس) بأنّها دراسة الانظمة الدالة من حيث الظواهر الاجتماعية والثقافية الملامسة للنص وبوصفها جزءاً من مفهوم اللسانيات الثاني : ما ذهب إليه (جورج مونان) الذي يرى أنّ السيميائية دراسة لأنظمة الاتصال اللغوية وغير اللغوية من خلال تحديد أنظمة مختلفة من الاشارات المتعددة .الثالث : ما ذهب إليه (إمبرتو إيكو) و (جوليا كريستفا) في الجمع بين الرمز اللغويّ وغير اللغوي كونهما يتكاملان مع اللسانيات .وقد أسس العالم اللغويّ غريماس منهجًا سيميائيًا بنيويًا يُعنى بتحليل المعنى بوصفه نتيجة لعلاقات داخلية في النص، وليس كمعطى فردي أو سياقي ، وقد طوّر أدوات تحليلية أهمها:

- **نموذج العاملين الستة** : الذات، الموضوع، المساعد، المعارض، المُرسل، المستقبل.
- **التحولات السردية**: من حالة نقص إلى كمال، من جهل إلى معرفة، من ضعف إلى تمكين.
- **المربع السيميائي**: شبكة من الثنائيات الدلالية التي تكشف عن صراعات القيم والمعاني في النص.

أما طبيعة اللسانيات التداولية: فإنّها تُعنى بدراسة اللغة في سياقها التواصلي، وتفترض أن المعنى لا ينبع فقط من البنية اللغوية، بل من المقاصد، والعلاقات بين المتكلم والمخاطب، والظروف المحيطة بالفعل الكلامي. وتشمل التداولية مفاهيم محورية مثل:

- الملفوظية: دراسة من يتكلم، ولماذا، ولمن.
- أفعال الكلام : التصريح، الأمر، الوعد، التحذير...
- مبدأ التعاون ومبادئ غرايس : التضمين، السياق، المقصد.

وطبيعة الربط بين نظرية غريماس السيميائية واللسانيات التداولية (Pragmatics) ، جاءت نتيجة تحوّل في المفهوم تطورت تدريجيًا ضمن ما يُعرف بـ "السيميائيات التداولية" (sémiotique pragmatique)، التي حاولت الربط بين البنية الدلالية الثابتة عند غريماس، والبعد الاستعمالي للخطاب في السياق.وتمثل خطب نهج البلاغة للإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) من أبرز النصوص اللغويّة التي جمعت بين البلاغة البيانية والعمق الفكري والدلالة السياسية والدينية، فقد شكّلت هذه الخطب مادة خصبة لدارسي الخطاب في مجالات متعددة، لما تحمله من طاقة لغوية ودلالية عالية، تمزج بين الوظيفة التبليغية والوظيفة الحجاجية، وبين البيان السردي والرسالة المقاصدية.

نظرية غريماس ، المفهوم والأدوات :نشرت محاضرات غريماس التي ألقاها بكلية العلوم بباريس ما بين ١٩٦٣ – ١٩٦٤ في كتاب يحمل عنوان " علم الدلالة البنوية " حيث عُدّت هذه المحاضرات انطلاقة كبيرة للدراسات السيميائية الحديثة لاسيما بعد نشره معجمه الاول للمصطلحات اللسانية مع جوزيف كورتيس أواخر السبعينيات ، فقد عمل غريماس على تأسيس نظرية سيميائية تُعدّ نظرية غريماس واحدة من أبرز النظريات البنيوية في مجال السيميائيات، وقد امتد تأثيرها إلى تحليل النصوص الأدبية، والخطابات، والأساطير، والإشهار، والفنون البصريةطوّر غريماس هذه النظرية في سياق الاتجاه البنيوي الفرنسي، متأثراً بأعمال دي سوسير، بروب، وليفي ستراوس، وركّز على دراسة (بُنية المعنى) في الخطاب، وخاصة عبر ما يُعرف بـ "السيميائيات السردية " التي ارتبطت بالإرث اللسانيّ على أثر مجموعة من المفاهيم سيّما ثنائية دي سوسير التي ينتقل بها من البُعد الالسني الى البعد المعرفي المنهجي . (يُنظر : حداد خديجة : ٦٣٧)ونُقل عن غريماس قوله : " لو عثرنا على نصٍ مقاوم للتحليل بواسطة نظريتنا لوجب علينا أن نغيّر النظرية ولا ان نغيّر النص " يُنظر : (هايدي تويل : ٤٦) اعتمد غريماس في بناء نظريته على ثلاثة مستويات للمسار التوليدي (كما أسماه) : مستوى العمق مع بنيته الدلالية الاولية ، والمربع السيميائي ، ومستوى السطح حيث تتحول البنية الاولية الى بينة سردية مع برامجها السردية المساعدة والرئيسية وبنية العاملين ، ومستوى التمظهر حيث يتحول ذلك الى شيء محسوس ، مثل : خطاب شفهي أو نص أدبي ، وغير ذلك ، وهذه المستويات متصلة مع بعضها ومتساوية فيما يخص المعنى ، لذلك يتطلب هذا المسار التوليدي وضع قواعد تحويلية وإعداد لغة واضحة ودقيقة لمصطلحاتها وطبيعة العلاقات التي تربط بينها يُنظر : (المصدر نفسه : ٤٦)ينتقد غريماس عجز الدراسات السابقة بدراسة الدلالة كونها اهتمت بدراسة الدال على حساب المدلول كما ينقلها العربي : " حينما نعتقد أنّ المعنى بديهية ، أو بوصفه معطى مباشراً .. بالبحث عن شروط تمظهره ، أي بوصف ذلك السدل الصوتي والكتابيّ الذي ليس له أي علاقة بالمعنى ، بيد أنه إذا كان هذا المشروع قد فشل جزئياً ؛ لأنه اكتفى بنتائج مستوحاة من طريقة تحليل الدال ، فإنهم انهمكوا في دراسة المورفيمات او العلامات ، متأملين فيها ، بمساعدة اجراءات

صورية مغلوطة المعنى احياناً ، وتمر إدراكياً من مستوى الى آخر ومن وراء المعنى الى توزيع الدلالة " (يُنظر : ابن مسعود محمد العربي : ٥٧)لذلك ، بُنيت نظرية غريماس في على ثلاثة أسس فلسفية : يُنظر : (هايدي تويل : ٤٦)

١. اللسانيات البنيوية : حيث استلهم غريماس من دي سوسير فكرة أن المعنى لا ينبع من العلاقة بين الدال والمدلول فقط، بل من العلاقات الاختلافية بين العلامات داخل النظام.

٢. وظائف بروب السردية : فقد استفاد من تقنيات فلاديمير بروب في تحليل الحكايات الخرافية الروسية، والتي تحدد وظائف ثابتة في بنية السرد.

٣. التحليل البنيوي للأسطورة (ليفي ستراوس) : الذي قام بتحليل البُنى العميقة للأساطير.

- المفاهيم الرئيسة في نظرية غريماس:

١. **المربع السيميائي** :يُمثل المربع السيميائي العلاقات الأساسية التي تخضع لها الوحدات الدلالية لتوليد عالم دلاليّ ، إذ يساعد على تمثيل العلاقات التي تقوم بين هذه الوحدات بقصد انتاج الدلالات التي يعرضها النص على القراء (يُنظر : رشيد بن مالك : ٢٣)

ويرى غريماس بانّ المربع السيميائي " بينة انبثاق تسعى الى تمثيل كيف يتم انتاج الدلالة عن طريق سلسلة من العمليات الابداعية لمواقع متباينة " (يُنظر : أ.ج.غريماس : ٨٨) فهو أداة تحليلية لكشف العلاقات المنطقية والدلالية بين المفاهيم الثنائية داخل النص، وهو تطوير للعلاقات التضادية (oppositions) ويتضمن أربع زوايا:| المفهوم | النقيض | نفي المفهوم | نفي النقيض || S~\¬ | ¬S | S~\ | S

|ينتج عن هذا المربع إمكانات دلالية متعددة، ويكشف عن (المنطقة الرمادية) بين المفاهيم الثنائية، والتي تشكّل مساحة (التأويل).

٢. **البنية السردية العميقة** :تمثيل الأدوار الأساسية في أي سردية من خلال ما يُعرف بـ (نموذج العوامل الستة) وهو تطوير لنموذج بروب ، فالأدوار ليست شخصيات بالضرورة، بل وظائف مجردة .| الفاعل (الذات) | يسعى إلى → | الهدف (المرغوب فيه) |

| ---------- | ---------- | ---------- |

| المعطي | يعطي ← | المستقبل |

| المعارض | يعيق | المساعد |

ويُرسم على النحو الآتي:

الذات → الهدف

المساعد ↑ ↓ المعارض

المُرسل → المُستقبل

٣. **مربع التحول السيميائي** :

يشير إلى (تحولات المعنى) من حالة إلى أخرى، مثل:

- من الجهل إلى المعرفة- من الافتقار إلى الامتلاك من الموت إلى الحياة

ويتم ذلك عبر عمليات ثلاث:- الاقتناء (acquisition)- النقل (transfert)-التحول (transformation)

لذلك نجد انّ مفاهيم غريماس غلى الرغم من تركيزها على البعد الوصفي الّا أنها تهتم بشكل واضح على البعد الوظيفي الذي يعدّ مرجعاً في الوصف والتحليل فهما متكاملان ، فالتحليل سيتراوح بين المحايثة من جهة وخرقها من جهة اخرى ، فهو خروج على ما يُسمّى (النسق المُغلق) (يُنظر : روبي عبد الكريم : ٣٥)وللإشارة الى ما ورد من نصوص في خطب نهج البلاغة ، نذكر ما ورد **في خطبة للإمام علي بن ابي طالب عليهما السلام يتحدث فيها عن أركان الدين ، بقوله** : " إنّ أفضل ما توسّل به المتوسّلون إلى الله سبحانه و تعالى، الإيمان به و برسوله، و الجهاد في سبيله، فإنّه ذروة الإسلام، و كلمة الإخلاص فإنّها الفطرة، و إقام الصّلاة فإنّها الملّة، و إيتاء الزّكاة فإنّها فريضة واجبة، و صوم شهر رمضان فإنّه جنّة من العقاب، و حجّ البيت و اعتماره فإنّهما ينفيان الفقر و يرحضان الذّنب ، و صلة الرّحم فإنّها مثراة في المال، و منسأة في الأجل، و صدقة السّرّ فإنّها تكفّر الخطيئة، و صدقة العلانية فإنّها تدفع ميتة السّوء، و صنائع المعروف فإنّها تقي مصارع الهوان.أفيضوا في ذكر الله فإنّه أحسن الذّكر. و ارغبوا فيما وعد المتّقين فإنّ وعده أصدق الوعد. و اقتدوا بهدي نبيّكم فإنّه أفضل الهدي. و استنّوا بسنّته فإنّها اهدى السّنن. و تعلّموا القرآن فإنّه أحسن الحديث، و تفقّهوا فيه فإنّه ربيع القلوب، و استشفوا بنوره فإنّه شفاء الصّدور، و أحسنوا تلاوته فإنّه أنفع القصص. و إنّ [فانّ] العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الّذي لا يستفيق من جهله، بل الحجّة عليه أعظم، و الحسرة له ألزم، و هو عند الله ألوم (نهج البلاغة : ١٦٣)يعرض النص منظومة شاملة للقيم الدينية والعبادات في الإسلام بوصفها أركانًا متماسكة تُكوّن البنية الروحية والسلوكية للمؤمن،

ويؤسس لبنية دلالية مركّبة تنطوي على تناولات متبادلة بين عناصر الاعتقاد والعمل والتقوى. تظهر (**الذات الفاعلة**) على أثر الفاعل الأساسي في النص وهو المؤمن الصالح الذي يمتلك وعيًا دينيًا شاملاً، ملتزمًا بأركان الدين وقيمه، ومتفاعلًا مع النصوص الشرعية ومرشدها النبوي.هذه الذات تبرز كفاعل تكاملي، منسجم مع الإيمان، والممارسة، والذكر، والتعلم، وهي ذات تسعى إلى تحقيق الرقي الروحي والاجتماعي.أمّا (**الموضوع**) فهو مركّب وشامل، يتمثل في:

- أركان الإسلام: الإيمان، الصلاة، الزكاة، الصيام، الحج، الجهاد، الصدقات، وصلة الرحم...
- مقاصد الأركان وأثرها: كالإخلاص، الملّة، التكفير، الرحمة، التكافل، والوقاية من الهوان.
- التوجيهات العقائدية والسلوكية: كذكر الله، الاقتداء بالنبي، التعلم والتفقه، وبيان خطورة العمل بلا علم.

بينما تظهر (**العوامل المساعدة**) في مفاهيم ذُكرت في النص :

- الذكر ، الهدي النبوي ، القرآن ، العلم والعمل المتوافقان

أمّا (**المعارض**) فهو وجود من يعمل بلا علم، وهو الموصوف بـ"العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحائربينما (**المرسِل**) هو الله سبحانه وتعالى، عبر الإمام علي (عليه السلام) كرسول للحق والحكمة و (**المستقبِل**) فهم المؤمنين الذين يتلقون هذا الخطاب، ويمثلون المجتمع الإسلامي الحي . لذلك ، تجد دلالة النص تسير بسلاسة من عرض أركان الإسلام كأفعال وقيم مركزية، إلى التوجيهات السلوكية والروحية التي تحكم حياة المؤمن، ثم إلى التحذير من العمل بلا علم فيشكّل النص فعلاً كلامياً مركباً يجمع بين أفعال كلامية عدّة متشابكة، تُوظف بشكل متكامل لتوجيه السامع نحو موقف ديني وروحي معين.وتتحقق تداولية النص على إثر الملفوظية في :**المتكلم**: الإمام علي (عليه السلام)، بصفته مرشدًا روحيًا وقائدًا دينيًا

- **المخاطَب**: عامة المؤمنين، خصوصًا الذين يحرصون على بناء علاقاتهم بالله وبالناس.
- **المقام التداولي**: مقام هادف تعليمي تحفيزي، يجمع بين تقرير الحقائق الدينية، وتحفيز النفس .

كما تظهر أفعال الكلام بصورة أفعال مباشرة تظهر في مفاهيم :

- **النصح والإرشاد**: بقوله : "أفيضوا في ذكر الله...، وارغبوا فيما وعد المتقين...".
- **التشجيع والاقتداء**: بقوله : "واقتدوا بهدي نبيكم...، واستنوا بسنّته...".
- **التحذير**: من العمل بلا علم، حيث يُوصف بأنه أعظم ضررًا من الجهل نفسه.
- **التقويم الأخلاقي**: بقوله : "الحجّة عليه أعظم، والحسرة ألزم، وهو عند الله ألوم".

هذه الأفعال تتداخل لتشكّل خطابًا متوازنًا يجمع بين التحفيز الروحي والتوجيه الأخلاقي والتنبيه القانوني الديني.

لذلك، يتكوّن الخطاب من ثنائيات مفهومية متداخلة تُشكّل إطارًا دلاليًا واضحًا:

- بين الإيمان والعمل الصالح كركائز "الإسلام" و"الإخلاص" و"الملّة" من جهة، والجهل والعمل بلا علم من جهة مقابلة.
- بين الذكر بوصفه "أحسن الذكر" كقيمة إيجابية، وغيابه أو الإهمال الذي يؤدي إلى قلة الوعي الروحي.
- بين الهدي النبوي، الذي هو "أفضل الهدي"، و"السنّة الأهدى" من جهة، وبين الغفلة عن هذه المبادئ من جهة أخرى.
- بين التفقه في القرآن كـ"ربيع القلوب" و"شفاء الصدور"، وبين الجهل وعدم الاستفادة منه، حيث يكون المتلقي معرضًا للحيرة واللوم.
- بين العمل بالعلم والعمل بلا علم، حيث يضفي الأول قيمة ويجعل العمل مقبولًا، بينما الثاني يعمّق الجهل ويزيد من الجزاء السلبي.

وهنا يُبرّز المربع السيميائي حالة توازن قيمي، يدعو إلى استكمال التوازن بين المعرفة والعمل، وبين العقيدة والممارسة، بين الروح والجسد، وبين الوعي والالتزام، ويؤسّس لوعي شامل يؤكد أن إهمال أي عنصر منهما يضعف البناء الديني والروحي.يمثّل هذا النص نموذجًا متكاملًا للخطاب الديني الإسلامي في أبهى صوره، حيث يدمج بين البلاغة السيميائية وبراعة التداولية الخطابية ليُنتج خطابًا حيًّا، غنيًا، جامعًا بين التعليم، التحفيز، والتقويم.ويبرز التحليل مدى إدراك الإمام علي (عليه السلام) لأهمية التوازن بين العلم والعمل، وأثر ذلك على صحة الدين واستقامة النفس، كما يشير الخطاب إلى أن الالتزام بأركان الإسلام ليست واجبات منفصلة، بل أركان متكاملة تشكّل العمود الفقري للحياة الإسلامية الصحيحة، ويربط النص بشكل محكم بين الأفعال الفردية (كالعبادات) والنتائج الاجتماعية (صلة الرحم، صدقة السرّ، صدقة العلانية...).هذا التحليل يعكس قوة الخطاب العلوي، ومكانته كمرجع فكري وروحي متين يمكن أن يستند إليه الباحث في دراسات متقدمة في مجال البلاغة الإسلامية، علم الخطاب، والسيميائيات الدينية.**و في خطبة أخرى له عليه السلام ، يشير فيه إلى ظلم بني أمية ، بقوله** : وَاللَّهِ لَا يَزَالُونَ حَتَّى لَا يَدَعُوا لِلَّهِ مُحَرَّمًا إِلَّا اسْتَحَلُّوهُ، وَلَا عَقْدًا إِلَّا حَلُّوهُ، وَحَتَّى لَا يَبْقَى بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا دَخَلَهُ ظُلْمُهُمْ، وَنَزَلَ بِهِ عَيْثُهُمْ وَنَبَا بِهِ سُوءُ رَعْيِهِمْ، وَحَتَّى يَقُومَ الْبَاكِيَانِ يَبْكِيَانِ: بَاكٍ

يَبْكِي لِدِينِهِ، وَبَاكٍ يَبْكِي لِدُنْيَاهُ، وَحَتَّى تَكُونَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ كَنُصْرَةِ الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ، إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ، وَإِذَا غَابَ اغْتَابَهُ، وَحَتَّى يَكُونَ أَعْظَمُكُمْ فِيهَا عَنَاءً أَحْسَنَكُمْ بِاللَّهِ ظَنًّا، فَإِنْ أَتَاكُمُ اللَّهُ بِعَافِيَةٍ فَاقْبَلُوا، وَإِنِ ابْتُلِيتُمْ فَاصْبِرُوا، فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ " (نهج البلاغة : ١٤٣- ١٤٤)في هذا الخطاب يتضمّن النص بنية سردية عميقة، تصف سيرورة من التحولات القيمية والدينية والاجتماعية في ظل ظلم بني أمية. إذ تبرز **(الذات الفاعلة**) في مفهوم الأمة أو المجتمع المسلم، بوصفه المتلقي النهائي لهذا الخطاب، والمَعنيّ بالتحذير والتوجيه.ويقدم (**الموضوع**) سمة القيمة الدينية والعدل الإلهي، بوصفه غاية مفقودة بفعل الظلم الأموي، وهدفًا ينبغي السعي لاسترجاعه.أمّا (**المعارض)** في النص فهم بنو أمية، بوصفهم الفاعل السلبي المسبّب للتحولات السلبية في الواقع الديني والاجتماعي، فهم الذين "استحلّوا المحرّم، وحلّوا العقد، وظلموا الناس، وساءت رعايتهم".ويظهر (**المساعد**) في الإيمان الحقيقي والصبر والتقوى، والتي تظهر في نهاية النص كحل أخلاقي سلوكي لمواجهة هذا الانحراف.بينما (**المُرسِل**) في النص ، فهو الإمام علي (ع)، بوصفه ممثّلًا للشرعية الإلهية وللخطاب النبوي، ينقل الوعي إلى الأمة ويدعوها للثبات والتقوى.ويكون مفهوم (**المستقبِل)** في المؤمنين الصادقين، الذين يُنتظر منهم أن يكونوا على بصيرة، وأن يصبروا على البلاء ويثقوا في العاقبة الإلهية.إنّ التحوّل السردي للنص يُمثّل سردية متدرّجة من تحلل ديني واجتماعي وسياسي شامل تحت حكم بني أمية، إلى دعوة للثبات والصبر على البلاء، فـ"العاقبة للمتقين". وهذا التحول يشكّل ما يسميه غريماس "رحلة المعنى"، حيث يبدأ الخطاب من الانهيار وينتهي بالأمل.أمّا من منظور اللسانيات التداولية، فالنص يُقدَّم بصفته خطابًا تواصليًا موجّهًا من الإمام إلى الأمة ، فيتضح أثر الملفوظية ، في :

- **المرسل:** الإمام علي (ع)، وهو متكلم صادق موثوق، يتحدث من موقع ديني وسياسي عالٍ، ويُخاطب الأمة خطاب الراعي الحقيقي.
- **المرسل إليه:** جمهور الأمة عمومًا، ولا سيما أولئك الذين يعيشون تحت سلطة بني أمية.
- **الزمان والمقام:** مقام التحذير والتنبّه، في لحظة سياسية حرجة، حيث اختلط الحق بالباطل.وتظهر الافعال الكلامية في النص ، إذ تحوي الخطبة تنوّعًا تداوليًا معقدًا من الأفعال الكلامية:

- **التحذير:** في قوله (ع) : «لا يزالون حتى لا يدعوا لله محرّماً إلا استحلّوه»
- **الإنذار:** في قوله (ع) : «وحتى لا يبقى بيت مدر ولا وبر إلا دخله ظلمهم»
- **الوصف التأثري:** في قوله (ع) : «حتى يقوم الباكيان يبكيان: باكٍ على دينه وباكٍ على دنياه»
- **التقييم الأخلاقي:** في قوله (ع) :«نصرة أحدكم من أحدهم كنصرة العبد من سيده»

فالخطاب ليس مجرد تصوير للواقع أو نقد سياسي، بل هو إنتاج لموقف إيماني تواصلي، يُراد منه تثبيت الناس على الحق رغم تغوّل الظلم، وبث الأمل في تحقق الوعد الإلهي.ينبني خطاب الإمام عليه السلام في هذا النص على شبكة دلالية من الثنائيات المتقابلة، تشكّل ما يُعرف في نظرية غريماس بـ"المربع السيميائي"، وهو أداة مفهومية تساعد على الكشف عن التوترات القيمية التي تحكم بنية المعنى في النصوص.غير أنّ هذه الثنائيات ليست مجرّد تقابلات لغوية أو مفاهيمية، بل تُوظّف ضمن منطق حجاجي وتداولي يهدف إلى توجيه المتلقي نحو تبنّي موقف معين من الواقع القائم.في هذا السياق، يمكن أن نُلاحظ أن خطاب الإمام علي عليه السلام يبني تقابلًا دلاليًا واضحًا بين العدل والظلم، حيث يمثل العدل القيمة المركزية التي تمّ انتهاكها من قبل بني أمية، بينما يُصوَّر الظلم كقيمة نقيضة متفشية في كل بيت وفي كل مجال من مجالات الحياة، حتى لا ينجو منه لا بيت مدر ولا وبر .ويقترن هذا التقابل بمقابلة أخرى بين الحرمة والاستحلال، فكل ما كان مقدّسًا ومحرّمًا عند الله قد تمّ استباحته، وهو ما يدل على الانحطاط الديني والقيمي في المرحلة السياسية التي يصفها الإمام.كما يظهر في النص تقابل بين الرعاية الصالحة وسوء الرعي، فالحاكم العادل الذي ينبغي أن يرعى الأمة أصبح غائبًا، وحلّ محلّه من "ساءت رعايتهم"، مما أدى إلى تفكك العقد الاجتماعي والديني، وانتشار البكاء والنحيب، لا من جهة واحدة بل من جهتين: من يبكي على دينه المهدد، ومن يبكي على دنياه المسلوبة. هذا الانقسام ذاته يُضمر تقابلًا ضمنيًا بين الاهتمام بالآخرة والانغماس في الدنيالذلك ، فإن التقابل الأشد أثرًا يظهر في مواجهة بين الثقة بالله والصبر على البلاء من جهة، وبين مشاعر الإحباط والانكسار من جهة أخرى، ويُدفع المتلقي إلى تبنّي موقف الصبر والثبات، في ضوء وعدٍ ضمني بأن العاقبة ستكون للمتقين، أي أن المعادلة القيمية ستنقلب، والحق سيعود إلى نصابه.إذن، فإن هذه الثنائيات المتقابلة لا تظهر دفعة واحدة، بل تتوالى تصاعديًا ضمن سياق حجاجي، تبدأ بوصف الانهيار، ثم تبيّن نتائجه النفسية والاجتماعية، ثم تقترح أفقًا أخلاقيًا – دينيًا للنجاة. وهكذا يُفَعَّل المربع السيميائي في الخطاب بوصفه شبكة من المعاني المتصارعة التي تُنتج مسارًا دلاليًا متوترًا، لكنه منضبط باتجاه الخاتمة التي تشير إلى انتصار القيم الإيمانية في نهاية المطاف.**ومن خطبةٍ له عليه السلام يقول فيها لأصحابه في ساحة الحرب بصفين**" و أيّ أمرئ منكم أحسّ من نفسه رباطة جأش عند اللّقاء، و رأى من أحد من إخوانه فشلا فليذبّ عن أخيه بفضل نجدته الّتي فضّل بها عليه كما يذبّ عن نفسه، فلو شاء الله لجعله مثله. إنّ الموت طالب

حثيث لا يفوته المقيم، و لا يعجزه الهارب. إنّ أكرم الموت القتل! و الّذي نفس ابن أبي طالب بيده، لألف ضربة بالسّيف أهون عليّ من ميتة على الفراش في غير طاعة الله! و منه: و كأنّي أنظر إليكم تكشّون كشيش الضّباب: لا تأخذون حقّا، و لا تمنعون ضيما. قد خلّيتم و الطّريق، فالنّجاة للمقتحم، و الهلكة للمتلوّم " (نهج البلاغة : ١٧٩ – ١٨٠)يقدّم الإمام علي (عليه السلام) إنموذجًا دلاليًا متكاملًا، قائمًا على تحفيز الذات الفاعلة (الجنود/الصحابة) في مواجهة الخطر، عبر استنهاض القيم الأخلاقية والدينية والموقف البطولي. ويمكن تفكيك البنية السيميائية لهذا الخطاب من خلال تحديد عناصر النموذج الفاعلي والتحوّل الدلالي الكامن في النص .تكمن (**الذات الفاعلة**) في الذوات المعنية و هم الجنود المقاتلون من أنصار الإمام علي (عليه السلام)، ممن خالطت نفوسهم الشك أو التردد أو كانوا في حاجة إلى تعبئة داخلية تُمكّنهم من الثبات والمواجهة.ويتوزع (**الموضوع**) المركّب على ثلاثة مستويات:

- الرباطة النفسية والثبات القتالي
- نُصرة الأخ في المعركة من منطلق أخلاقي
- تحقيق الكرامة بالموت في سبيل الله بدلًا من الموت السلبي على الفراش

هذه الموضوعات تمثّل القيم التي يسعى الإمام إلى غرسها وتعزيزها في نفس المتلقي، وهي قيم تنتظم في بنيات سردية تعبّر عن التحول من التردد إلى الحسم، ومن الأنانية إلى الإيثار، ومن الخوف من الموت إلى التشوّق للشهادة.أمّا (**المُساعد**) فيتمثّل في الإيمان، والنباهة القتالية، ورباطة الجأش، والإخاء، واليقين بقيمة الجهاد في سبيل الله. هذه العوامل تمثّل عناصر دعم للذات، تمنحها القدرة على إنجاز المهمة.

ويظهر (**المُعارض**) بشكل غير مباشر من خلال الإشارة إلى:

- الفشل الذي قد يبدو على أحد المقاتلين.
- الخوف من الموت الذي يسكن النفوس.
- الوهم القتالي الذي يجعل بعض الجنود "يتلوّمون" ويتأخرون بدل أن يقتحموا.
- ضعف الإرادة الجماعية الذي يظهر في صورة "تكشيش الضباب"، أي التفرّق والتخلخل في الصف.

أمّا (**المرسِل**) وهو الإمام علي نفسه، بوصفه ليس فقط المتحدث، بل الضامن الشرعي والروحي والمعنوي للقيم العليا، فهو من يُعيد توجيه الجماعة نحو غايتها الأخلاقية والرسالية.بينما يتحدد (**المستقبِل**) في المجتمع القتالي ، لا بوصفهم متلقّين فحسب، بل بوصفهم مطالبين بالتحول إلى ذوات مبادرة، مقتحمة، مقاومة، تواجه الموت برباطة جأش.نجد أنّ النص يُصوّر سيرورة كاملة من الانفعال إلى الفعل، ومن التخوّف إلى البطولة، ومن الفرقة إلى التكافل، ومن التشكيك إلى الإيمان الصلب. هذه السيرورة تُشكّل ما يسميه غريماس بـ"التحول القيمي"، حيث تتغير وضعية الذات من حالة ضعف أو تردّد إلى حالة فعل وشجاعة ووعي بالمصير. من المنظور التداولي، يُبنى الخطاب على استراتيجية خطابية تعبّر عن قوة المقام الحربي، وتُظهر تعددية أفعال الكلام، كما تُظهر العلاقة العاطفية – العقلية بين الإمام والمتلقي، حيث يزاوج الإمام بين النصح والتوبيخ، بين التبشير والإنذار.تظهر سمات الملفوظية في :

-**المتكلم** : وهو الإمام علي (عليه السلام)، بوصفه القائد، والراعي الديني، والمجاهد الأوّل، ومصدر الشرعية.

-**المخاطَبون** : جيش الامام (ع) في صفين، والذين يُحتمَل أن يتسلّل إليهم الضعف أو الفتور أو القلق من المصير.

- **المقام التداولي:** مقام تعبئة نفسية–قتالية عالية التوتر، في أجواء حرب مصيرية، تفرض على الخطاب أن يكون موجّهًا، محفزًا، ومعرّيًا للواقع.

كما تظهر في النص مجموعة من الافعال الكلامية تتجسد في :

- **الأمر التوجيهي:** في قوله (ع) "فليذبّ عن أخيه"، أي الدفاع عن الزميل في القتال.
- **التشجيع والاستنهاض:** في قوله (ع) "وأيّ امرئ منكم أحسّ من نفسه رباطة جأش...".
- **القَسَم الصريح** : في قوله "والذي نفس ابن أبي طالب بيده..."، وهو أسلوب تداولي ذو طاقة بلاغية عالية.
- **سخرية مبطّنة – إنذارية:** "كأنّي أنظر إليكم تكشّون كشيش الضباب"، وهي صورة تواصلية يُراد بها تقريع المترددين.

هذه الأفعال تشتغل معًا لتنتج ما يُسمّى بالفعل الكلامي المركب، إذ تتشابك الرسالة الحجاجية مع الرسالة التعبوية، مما يعزّز التأثير النفسي ويولّد استجابة فورية من المتلقي.تكمن مقصدية الإمام في هذا المقام في:

- تحفيز النخوة والشجاعة الفردية.
- تحقيق التضامن القتالي عبر تشارك النجدة.

- بناء وعي مصيري لدى الجند بأن القتل أكرم من الموت السلبي.
- نزع الخوف من الموت، وتقديمه في صورة الشهادة.
- فضح المترددين وإحراجهم بلغة رمزية – تصويرية تسخر من تقاعسهم.
- حسم الموقف في وجدان السامع بين خيارين لا ثالث لهما: اقتحام أو هلاك.يتضمّن الخطاب مجموعة من الثنائيات المفاهيمية التي تشتغل ضمن بنية الصراع القيمي. هذه الثنائيات تُشكّل النسيج الأساسي لما يُسمى في نظرية غريماس بـ"المربع السيميائي"، حيث لا يُقدَّم المعنى باعتباره مفردًا بسيطًا، بل بوصفه نتاجًا لتوتر دلالي بين طرفين متقابلين ومتناقضين.في هذا النص، يُقابِل الإمام بين رباطة الجأش بوصفها قيمة إيجابية للقتال والكرامة، وبين الفشل الذي يُعدّ انكسارًا ذاتيًا وقصورًا أخلاقيًا في لحظة المصير.ثم يُقابل بين النجدة لأخيك كما لنفسك، في دعوة إلى تجاوز الأنانية نحو الإيثار القتالي، وبين الخذلان والتراخي، وهو ما يظهر ضمنًا عند عدم النصرة.ويُصاغ تقابل آخر بين الموت الكريم في ساحة المعركة، وهو عند الإمام أهون عليه من الموت السلبي على الفراش في غير طاعة الله. هذه المقابلة تؤسس لرؤية وجودية أخلاقية تفضّل التضحية في سبيل العقيدة على التمديد البيولوجي للحياة.وفي النهاية، تتضح ثنائية قاطعة بين النجاة للمقتحم، أي لمن يبادر بالفعل، وبين الهلكة للمتلوّم، أي المتردد الذي يؤخر الاستجابة. هذا التحول من الفعل إلى المصير، يضع كل ذات أمام خيار دلالي–وجودي صارم: إما أن تكون فاعلًا مؤمنًا مقتحمًا، وإما أن تكون هالكًا بالتردّد والتخاذل.بهذا التوتر البنيوي بين القيم، يتحوّل الخطاب إلى بنية صراعية مفتوحة على المستقبل، وهي خاصية رئيسية في البنى السيميائية ذات الطابع الاستشرافي، حيث لا يصف الإمام الواقع فقط، بل يُسهم في تغييره عبر تحفيز الإرادة وتحويل المعنى إلى قوة سلوكية.

لذلك ، يمثّل هذا النص العلوي نموذجًا متماسكًا لتحليل الخطاب عبر الربط المنهجي بين نظرية غريماس السيميائية واللسانيات التداولية. فمن جهة، يكشف التحليل السيميائي عن بُنية سردية–قِيَمية تقوم على تحوّل الذات من السلبية إلى المبادرة، وتُظهر تفاعلات دقيقة بين الفاعلين داخل الصراع.ومن جهة أخرى، يُظهر التحليل التداولي أن الخطاب ليس فقط تقريرًا لحالة، بل هو فعل تواصلي مشحون، يتوسّل الاستعارة، والتهديد، والتشجيع، لبناء موقف عملي منسجم مع القيم الدينية–القتالية.وهكذا، فإن التكامل بين النظريتين يمثل أداة تحليلية قادرة على النفاذ إلى بنية النص ومقاصده، ويوفّر قراءة عميقة للخطاب تُظهر قدرته على التوجيه والتأثير في لحظة مصيرية، فيتحوّل من نص إلى مشروع تعبئة نفسية وأخلاقية ورمزية متكاملة.

الخاتمة :

يتضح من خلال هذا البحث أنّ الجمع بين نظرية غريماس السيميائية واللسانيات التداولية يمثّل مدخلًا منهجيًا خصبًا لتحليل الخطاب الديني، وخصوصًا نصوص نهج البلاغة التي تتسم بكثافة دلالية عالية، وبنية بلاغية مقصودة، وأبعاد تداولية تتجاوز حدود الزمان والمكان. فقد كشف التحليل عن أنّ نصوص الإمام علي (عليه السلام) ليست مجرد خطب وعظية أو بيانات إرشادية، بل هي نصوص محكمة البناء، تتداخل فيها البنية السيميائية (الفاعل، المساعد، المعارض، الموضوع) مع البنية التداولية (المقام، أفعال الكلام، المقصدية، الأثر).ومن خلال التطبيق تبين أن الخطاب العلوي يتأسس على ثنائيات دلالية كبرى (الإيمان/الكفر، التقوى/الغفلة، العدل/الظلم، الموت/الحياة، النصر/الهزيمة) تتوزع وفق منطق المربع السيميائي الذي يُظهر جدلية المعنى وصراع القيم. وفي الوقت نفسه، فإن هذه الثنائيات لا تبقى مجرد أنساق نظرية، بل تتحول عبر الآليات التداولية إلى أفعال كلامية مؤثرة تستهدف المتلقي قصدًا: أمرًا، نهيًا، وعدًا، تحذيرًا، توجيهًا، أو تقريرًا. وهذا التداخل بين المستويين يكشف عن قدرة الخطاب على إحداث تحول في وعي المخاطب ، من الإدراك النظري إلى الفعل العملي.كما أثبتت القراءة أن نصوص نهج البلاغة تقوم على مشروع تواصلي متكامل: فالله هو المرسل الأول للقيم والمعاني، والإمام علي (عليه السلام) هو الوسيط المبلّغ والمفسّر، والمؤمنون هم المستقبلون المكلّفون بالفعل، بينما يتجسد الصراع في القوى المعارضة من ظلم أو غفلة أو شهوات. هذا البناء السيميائي التداولي المزدوج يجعل النصوص قابلة للتأويل المتجدد، ويمنحها قدرة على الاستمرار في إنتاج المعنى والتأثير عبر العصور.وعليه، يمكن القول إن التكامل بين غريماس والتداولية لا يقتصر على التوفيق بين منهجين مختلفين، بل يفتح أفقًا معرفيًا عميقًا لتحليل الخطاب الديني والفلسفي واللغويّ في آن واحد. فالمربع السيميائي يكشف عن البنية العميقة للمعنى، بينما التداولية توضّح كيفية اشتغال هذه البنية في سياق التواصل، وما تحمله من مقاصد وأبعاد حجاجية. وبذلك، يغدو الخطاب العلوي نموذجًا مثاليًا يُظهر كيف تتفاعل البنية الدلالية مع الفعل الكلامي لتأسيس مشروع قيمي، تتجدد دلالاته وتستمر فعاليته في مختلف الأزمان.إن النتائج التي توصل إليها البحث تثبت أنّ الجمع بين هذين المنهجين يمكّن من قراءة النصوص الكبرى قراءة متعددة المستويات، تُبرز قيمتها البلاغية، ومكانتها التداولية، وعمقها الفلسفي. وهو ما يجعل هذه المقاربة صالحة لأن تُعمم في دراسة النصوص الدينية واللغوية والسياسية، إذ تمنح الباحث أداة تحليلة دقيقة ومرنة في الوقت ذاته.

مصادر البحث

- البنية العميقة والسطحية من منظور غريماس ، مقاربة تطبيقية في النص السردي الجزائري ، رويبي عبد الكريم ، مجلة سيميائيات ، العدد ٢ ، سبتمبر ٢٠٢٤ .
- السيميائيات الدلالية المحايثة لدى غريماس من الدلاليات البنيوية الى السيميائيات : ابن مسعود محمد العربي ، مجلة انسنة للبحوث والدراسات ، العدد ٦ ، ديسمبر ٢٠١٢ .
- علي بن ابي طالب ، نهج البلاغة : حققه : صبحي الصالح ، دار الكتاب المصري – القاهرة ودار الكتاب اللبناني – بيروت ، الطبعة الرابعة ، ٢٠٠٤ .
- قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص : رشيد بن مالك ، دار الحكمة ، الجزائر ، ٢٠٠٠ .
- المبادئ التي كان غريماس يبني عليها السيميائية : هايدي تويل ، الملتقى الدولي السادس " السيمياء والنص الأدبي ، كلية الآداب واللغات ، جامعة محمد خيضر – بسكرة ، الجزائر ، ابريل ٢٠١١ .
- مدخل الى السيميائيات السردية (نماذج وتطبيقات) : عبد القادر شرشار ، منشورات الدار الجزائرية ، الطبعة الاولى ، ٢٠١٥ .
- المنهج السيميائي ، الخلفيات النظرية وآليات التطبيق : أ.ج.غريماس وآخرون ، ترجمة : عبد الحميد بورايو ، دار التنوير – الجزائر ، ٢٠١٤
- نظرية غريماس السيميائية ومرجعياتها اللّسانية والمعرفية : د.حداد خديجة مجلة قبس للدراسات الانسانية والاجتماعية ، مج ٣ ، ع ١ ، ٢٠١٩

Research Sources

-Deep and Surface Structure from Greimas's Perspective: An Applied Approach to Algerian Narrative Texts, by Rouibi Abdelkrim, Semiotics Magazine, Issue 2, September 2024.

-Immanent Semantic Semiotics in Greimas: From Structural Semantics to Semiotics: Ibn Masoud Muhammad al-Arabi, Insana'a Journal for Research and Studies, Issue 6, December 2012.

-Ali ibn Abi Talib, Nahj al-Balagha: Edited by Subhi al-Saleh, Dar al-Kitab al-Masry, Cairo and Dar al-Kitab al-Lubnani, Beirut, Fourth Edition, 2004.

-Dictionary of Terms for Semiotic Analysis of Texts: Rashid bin Malik, Dar al-Hikma, Algeria, 2000.

-The Principles on Which Greimas Built Semiotics: Heidi Towell, Sixth International Conference "Semiotics and the Literary Text," Faculty of Arts and Languages, University of Mohamed Khider - Biskra, Algeria, April 2011.

-Introduction to Narrative Semiotics (Models and Applications): Abdelkader Charchar, Algerian House Publications, First Edition, 2015.

-The Semiotic Method, Theoretical Backgrounds and Application Mechanisms: A.J. Greimas et al., Translated by: Abdelhamid Bourayou, Dar Al Tanweer - Algeria, 2014.

-Greimas's Semiotic Theory and Its Linguistic and Cognitive References: Dr. Haddad Khadija, Qabas Journal for Humanities and Social Studies, Vol. 3, No. 1, 2019